آخر الأرض

أحمد عز الدين

سوف أسألها أن تعيد الحديقةَ،
فوق سريري
وسوف أقول لغيث الشتاء الحفيّ:
ارتديني.
سوف أسألها أن تمنح البرقَ،
أفقاً،
والصافنات الجيادِ،
مدى...
والصواعق،
عمقا.
وأكشف قلبي،
لمن يشتريهِ.
آخر الأرضِ،
أم أولِ الحلمِ،
أم ملتقى الشفتينِ،
على حدّ سيف شريدِ؟
آخر الموتِ،
أم أول الجرح،
أم شهوة الماءِ،
فوق غصن شهيرِ؟.
تتبدّين تحت ضوء المشاعِلِ،
أبهى..
وتحاصرين امتدادي،
بعسكرٍ وحديدِ.
لست أعرف من أين
تأتي الهزيمة نحوي،
أو إلى أين تمضي جنودي.
مرّت النار في القش،
والمدينة أضحتْ،
خلف جفن المغنّي،
طيف حلم تليدِ.
أيها الواقفون على قمة التلّ،
آن أن ينزل التلّ،
عن صهوتي وبنودي.
أدخلوني إلى خدرها
في المساءِ الغريبِ.
أدخلوني إلى الوطن الذي يرفض الماء
من شفتيّ،
ويرفض أن يكتريني،
خادماً،
يغسل رجليهِ،
كل مساءٍ،
ويمسح عن وجنتيهِ،
رماد الجليدِ.
أدخلوني إلى خدرها،
إن قافلتي سدّت الأفقَ،
واستوحشتني،
روائحُ أهلي.
واستنبتت تحت جلدي،
من نارها السرمديةِ
شمساً،
تشعل البرقَ،
في عيون الوليدِ،
أدخلوني إلى خدرها،
متعبٌ وغريبٌ،
تحت إبطي،
كواكبٌ ونجومٌ،
تلعب النردَ في المساءِ،
وتهذي،
ببلادٍ،
تستبيح لحم الغريب.
أدخلوني إلى خدرها،
إنّ لي في زواياه
نبضاً طرّياً،
وبيوتاً،
مسكونة بالورود.

* * *

أدخلوني إلى خدرها،
في المساء الغريب،
آخر الأرضِ،
أم أول الحلمِ،
أم ملتقى الشفتين
على حد سيف شريد؟
آخر الموتِ،
أم أول الجرحِ،
أم شهوة الماءِ،
فوق غصن شهيدِ؟!